موجز البلاغة

تـاليـف

صاحب الفضيلة الاستاذ الامام الشيخ سيدي
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام
المالكي وشيخ الجامع الاعظم
ادام الله بقاءه

حقوق الطبع محفوظة

طبع على نفقة المكتبة العلمية لصاحبيها
السيدين محمد الامين واخيه الطاهر بنهج الكتبية عدد ١٢ بتونس

طبعة اولى

بالمطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

هذا موجز علم البلاغة

اما بعد حمدا لله الذي انطق البلغاء، وفضّل النبغاء، وميزهم عمن يُسِرُّ حَسْوًا في ارتغاء . والصلاة والسلام على المرسل بالحنيفية لا أمْتَ فيها ولا شُغَاء . وكلّ من صغى الى دعوته افضل صُغَاء . فاني رايت طلبة العلم يُزاولون علم البلاغة بطريقة بعيدة عن الايفاء بالمقصود اذ يبتدؤون بمزاولة رسالة الاستعارات لابي القاسم الليثي السمرقندي وهي زبدة مستخلَصة من تحقيقات المطول والمفتاح يحتسُونها قبل ابانها ثم يتناولون مختصر التفتازاني قبل ان ياخذوا شيئا من علم المعاني وفي ابتدائهم شوْط وفي انتقالهم طَفرة فرايت ان اضع لهم مختصرا وجيزا يلم بمهمات علم البلاغة ليكون لهم كالمقدمة لمزاولة دروس مختصر التفتازاني؛ وضعتُه وضعَ من يقصد الى تثقيف طلبة هذا العلم بالمسائل النافعة المجردة عن المباحث الطفيفة في فنون البلاغة الثلاثة فان هم اتقنوه فهْما ضمنت لهم ان ينطقوا بلسان فصيح . ويملأوا أوطاب اذهانهم من المحض الصريح .

مقدمة

البلاغة فَعالة مصدر بُلُغ بضم اللام كفقُه وهو مشتق من بَلَغ بفتح اللام بلوغا بمعنى وصل وانما سمي هذا العلم بالبلاغة لانه بمسائله وبمعرفتها يبلغ المتكلم الى الافصاح عن جميع مراده بكلام سهل وواضح ومشتمل على ما يُعينُ على قبول السامع له ونفوذه في نفسه فلما صار هذا البلوغ المعنوي سجيّة يحاوَل تحصيلُها بهذا العلم صاغوا له وزن فعُل بضم العين للدلالة على السجية فقالوا بَلُغ فلان بَلاغة كما قالوا ضخُم وسمّوا مجموع مسائل هذا العلم بمصدر بُلُغ فقالوا علم البلاغة (١) فان المتكلم اذا تكلم فانما اهتمامه بان ينقل ما في ضميره الى ذهن سامعه فهو محتاج قبل كل شيء الى معرفة اللغة التي يريد ان يخاطب بها من مفرداتها وكيفية تركيبها فاذا لم يعلم ذلك لم يكد كلامه ان يُفهم وهذه المعرفة تحصل له من علم اللغة والنحو والصرف فان حاول تكلها بدون هذه المعرفة كان مَثَلُه كما قال الحطيئة في الشعر « يريد ان يعربه فيُعجمُه » (٢) ولكنه اذا علم اللغة والنحو والصرف فانما يستطيع ان يعبر عن

---

(١) وبيان ذلك ان اشتمال الكلام على الكيفيات التي تعارفها خاصة فصحاء العرب فكان كلامهم اوقع من كلام عامتهم وانفذ في نفوس السامعين وعلى ما شابه تلك الكيفيات مما ابتكره المزاولون لكلامهم وادبهم وعلى ما يحسن ذلك مما وقع في كلام العرب وابتكره المولعون بلسانهم يعد بلوغا من المتكلم الى منتهى الافصاح عن مراده

(٢) مثال ذلك ما حكاه الجاحظ انه سأل رجلا دخيلا في العربية عن صبي اخذته الشرطة في سرقة اتهم بها قائلا في : اي شيء اسلموا هذا الصبي ؟ فاجاب « في اصحاب سند نعال » اي في اصحاب النعال السندية . وقال مرة يشتم غلاما للجاحظ « الناس ويلك انت حياء كلهم اقل » يريد انت اقل الناس حياء واسم هذا الدخيل نفيس بن بريهة . وكما يريد احد ان يقول باع فرسين فيقول بيع فرس وفرس لانه لا يعرف كيف يصوغ ماضي باع ولا يعرف صيغة المثنى ولا الاعراب .

حاصل المراد واصل المعنى ولا يستطيع ان يفصح عن تمام المراد فلو اراد ان يخبرك بحضور تلميذ واحد من تلامذة درسه وتخلّف الباقين فقال لك حضر زياد لم تفهم الا انه اخبرك بحضور زياد لئلا تكتبه متخلفا ثم اذا علمت ان بقية التلامذة لم يحضروا فقلت له : ما بالك لم تخبرني بعدم حضور انس ونافع وغيرهما ؟ قال لك : الستُ قد اخبرتك بحضور زياد ولم اذكر لك غيره ؟ فدلك بقوله ذلك على قصوره في معرفة اداء جميع مراده على انه لو تنبه لزيادة البيان لقال حضر زياد لم يحضر انس لم يحضر نافع لم يحضر زهير واخذ يعدد بقية التلامذة او استعان بحركة يديه فقال لك حضر زياد ثم ضرب بيديه كالناهض لهما كأنه يشير الى معنى فقط فحينئذ ادى جميع مراده لكن بعبارة غير سهلة ومع اشارة فاذا كان قد علم الكيفية الخصوصية للتعبير عن هذا المراد وهي ان يقول ما حضر الّا زياد كان قد بلغ الى اداء جميع مراده بكلام سهل وكذا اذا اراد ان يخبرك عما ابلاه عنترة من الشجاعة والفتك في يوم من ايامه فجعل يقول قتل فلانا وجرح فلانا وضرب الفرس فادماه وهرَبَ راكبه وسبى نساءهم وحطم مشاتهم فانه قد دلّك على جميع مراده بعبارة غير واضحة في الدلالة على جميع المراد اذ قد يُعييه العدّ فان هو قال لك « كان عنترة يومئذ اسدًا » فقد دلك على جميع المراد بكلام واضح الدلالة عليه . ولما كانت الكيفيات المذكورة لا تقع الا في كلام خاصة اهل اللسان العربي سموها بالخصوصيات نسبة الى الخصوص وهو ضد العموم الذي هو بمعنى الجمهور وتسمى بالنكت ايضا .

فالعلم الباحث عن القواعد التي تُصيّرُ الكلام دالا على جميع المراد وواضحَ الدلالة عليه يُدعى علمَ البلاغة . ثم ان هنالك محسنات للكلام متى اشتمل عليها اكتسب قبولا عند سامعه ولما كان حسن القبول يبعث السامعَ على الاقبال على الكلام بشراشره وكان في ذلك عون على ايعاء جميع المراد جعلوا تلك المحسّنات اللفظية من لواحق مسائل هذا العلم سواء كان حسنها عارضًا للفظ من جهة موقعه

المعنوي (١) كالمطابقة في قول ابي ذؤيب الهذلي

أَمَا والذي ابكى واضحك والذي امات واحيى والذي أَمْرُه الامر

ام كانَ حسنُها عارضا له من جهة تركيب حروفه كالجناس في قول الحريري :

سِمْ سِمَةً تُحمد آثارها واشكر لمن اعطى ولو سِمْسِمَة

فكلُّها تسمى المحسنات وتوابع البلاغة ويلقبونها بالبديع .

فانحصر علم البلاغة لذلكَ في ثلاثة فنون فن المعاني وهو المسائل التي بمعرفتها يستطيع المتكلم ان يعبر عن جميع مراده بكلام خاص . وسُمي علم المعاني لان مسائله تعلمك كيف تفيد معاني كثيرة في الفاظ قليلة ؛ اما بزيادة لفظ قليل يدل على معنى حقه ان يؤدى بجمل مثل صيغة انما في الحصر ؛ وكلمة إنَّ في التاكيد وردّ الانكار معا واما بان لا يزيد شيئا ولكنه يرتب الكلام على كيفية تؤدي بذلك الترتيبَ معنى زائدا مثل تقديم المفعول والظرف لافادة الحصر في نحو : الله احد ؛ واياك نعبد وهذا الفن هو معظم علم البلاغة . وفن البيان وهو المسائل التي بمعرفتها يُعرف وضوحُ الدلالة على المراد كقولك : عنترة اسد ؛ وحاتم كثير الرماد . وفن البديع وهو المسائل التي تبحث عن المحسنات اللفظية كما تقدم .

فتعريف علم البلاغة هو العلم بالقواعد التي بها يعرف اداء جميع المراد بكلام ذي اساليب خاصة واضحة مع ما يعين على قبوله وذلكَ بتوفيته خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها وايداع المحسنات بلا كلفة مع فصاحة الكلام .

---

(١) المراد بموقع اللفظ المعنوي ان معناه الموضوع له في اللغة هو هو بحيث لا تجد له خصوصية في اختلاف معناه حتى يصير من مسائل علم المعاني بل يوجد موقع يكون فيه لوقوع ذلك اللفظ احسن من وقوع غيره فانه لو قال « اما والذي ابكى وارشد » لكان وقوع لفظ ارشد اقل من وقوع لفظ اضحك وكذلك لفظ ابكى لو وقع مع قوله والذي امات لم يكن له من الحسن ما كان له في موضعه الاول

(تاريخه) ـ كان هذا العلم منثورا في كتب تفسير القرآن عند بيان اعجازه وفي كتب شرح الشعر ونقده ومحاضرات الادباء من اثناء القرن الثاني من الهجرة فالف ابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ١٤٤ كتاب مجاز القرآن والف الجاحظ عمرو بن بحر المتوفى سنة ٢٤٤ كتبا كثيرة في الادب وكان بعض من هذا العلم منثورا ايضا في كتب النحو مثل كتاب سيبويه ولم يخص بالتاليف إلّا في اواخر القرن الثالث اذ الف عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي (المولود سنة ٢٤٧ والمتوفى سنة ٢٩٦ قتيلا بعد ان بويع له بالخلافة ومكث يوما واحدا خليفة) كتاب البديع اودعه سبعة عشر نوعا وعد الاستعارة منها

ثم جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني الاشعري الشافعي المتوفى سنة ٤٧١ فالف كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة اولهما في علم المعاني والثاني في علم البيان فكانا اول كتابين ميزا هذا العلم عن غيره ولكنهما كانا غير ملخصين ولا تامي الترتيب فهما مثل در متناثر كنزه صاحبه لينظم منه عقدا عند تاخيه فانبرى سراج الدين يوسف بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي المعتزلي المولود سنة ٥٥٥ والمتوفى سنة ٦٢٦ الى نظم تلك الدرر فالف كتابه العجيب المسمى مفتاح العلوم في علوم العربية واودع القسم الثالث منه الذي هو المقصود من التاليف مسائل البلاغة دونها على طريقة علمية صالحة للتدريس والضبط فكان الكتاب الوحيد اقتبسه من كتابي الشيخ عبد القاهر ومن مسائل الكشاف في تفسير القرآن للزمخشري فاصبح عمدة الطالبين لهذا العلم وتتابع الادباء بعده في التآليف في هذا العلم الجليل

فن المعاني

المعاني علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يكون بليغا فصيحا في افراده وتركيبه (١) فالفصاحة ان يكون الكلام خالصا اي سالما مما يعد عيبا في اللغة بان

---

(١) يعني تعرف احوال الالفاظ المفردة لتكون فصيحة وتعرف احوال الالفاظ المركبة وهي الجمل والكلام ليكون كلاما فصيحا وبليغا

يسلم من عيوب تعرض للكلمات التي تركب منها الكلام او تعرض لمجموع الكلام(١)

فالعيوب العارضة للكلمات ثلاثة الغرابة . وتنافر الحروف . ومخالفة قياس التصريف . والعيوب العارضة لمجموع الكلام ثلاثة التعقيد (٢) وتنافر الكلمات . ومخالفة قواعد النحو ويسمى ضعف التاليف

اما الغرابة فهي قلة استعمال الكلمة في متعارف اهل اللغة او تناسيها في متعارف الادباء مثل الساهور اسم الهلال ومثل تكأكأ بمعنى اجتمع وافر نقع بمعنى تفرق في قول ابي علقمة احد الموسوسين وقد اصابه صرع فاحاطت به الناس « ما لكم تكأكأتم علي كما تكأكأون على ذي جنة افرنقعوا » (٣) واما تنافر الحروف فهو ثقل قوي في النطق بالكلمة لاجتماع حروف فيها يحصل من اجتماعها

---

(١) اعلم ان الفصاحة من اخص اوصاف كلام العرب وعدها في علم المعاني من حيث انها شرط في البلاغة اذ لا يعتد بالكلام البليغ الَّا اذا كان فصيحا فلها توقف وصف البلاغة على تعقل معنى الفصاحة ذكروها هنا لئلا يحيلوا المتعلم على علم آخر وقد كان الشان ان تعد الفصاحة من مسائل علم الانشاء والمتقدمون عدوها في المحسنات البديعة نظرا لكونها حسنا لفظيا لكن الحق ان كونها اقوى اعتبارا من البلاغة مانع من عدها في المحسنات التي هي توابع فالوجه عندها من مسائل الانشاء وان ذكرها هنا مقدمة للعلم وانما اشترطت الفصاحة في تحقق البلاغة لان الكلام اذا لم يكن فصيحا لم تقبل عليه افهام السامعين فيفوتها كثير مما اودعه المتكلم في كلامه من الدقائق

(٢) ويقال له التعقيد اللفظي وهنالك تعقيد يوصف بالمعنوي يرجع الى الكناية التي تخفى لوازمها خفاء شريدا كما قال بعض المهوسين في مدح بعض علماء تونس

❀ يا قريب العهد من شرب اللبن ❀ وقال اردت انه نال العلم على صغر سنه ولا حاجة الى التعرض له هنا لقلة جدواه ولانه لا علاقة له باللفظ الذي هو معروض الفصاحة ولان الفصاحة ليست من فن البيان ولا من فن المعاني بل هي من مقدمات الفن ولا شيء من المقدمات بمسائل

(٣) اعلم ان الحكم على الكلمة بالغرابة عسر جدا بالنسبة للمولدين لان استعمال العرب بعد عنا وعليه فنحن نعرف غرابة الكلمة اما بكونها غير جارية على

ثقل نحو الخُعْخُع نبت ترعاه الابل واقل منه في الثقل مستشزرات بمعنى مرتفعات واما الثقل الذي لا يضجر اللسان فلا يضر نحو امدَحُهُ ونحو وسَبِّحُهُ وقول زهير

* ومن هاب اسباب المنايا ينلنه *

واما مخالفة قياس التصريف فهو النطق بالكلمة على خلاف قواعد الصرف

كما يقول في الفعل الماضي من البيع بَيَعَ لجهله بان حرف العلة اذا تحرك وانفتح ما قبله يقلب الفا.

واما التعقيد فهو عدم ظهور دلالة الكلام على المراد الاختلال في نظمه ولو كان ذلك الاختلال حاصلا من مجموع امور جائزة في النحو كقول الفرزدق يمدح ابراهيم بن هشام المخزومي خال الخليفة هشام بن عبد الملك

١ ٢ ٥ ٦ ٣ ٧ ٤

وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه

اراد وما مثله في الناس حي يقاربه اي في المجد الَّا ملكا ابو ام الملك ابو هذا الممدوح فشتت اوصال الكلام تشتيتا تضل فيه الافهام (١) واما التنافر فهو ثقل الكلمات عند اجتماعها حين تجتمع حروف يعسر النطق بها نحو قول الراجز الذي لا يُعرف

وقبر حرب بمكان قفر وليس قربَ قبر حرب قبرُ

فكل كلمة منه لا تنافر فيها وانما حصل التنافر من اجتماعها حتى قيل انه لا يتهيأ لاحد ان ينشد النصف الآخر ثلاث مرات متواليات فلا يتلعثم لسانه

الاوزان المتعارفة والحروف المالوفة نحو هَلَّوف اي يوم ذوغيم . واما بكون الكلمة غير متكررة الاستعمال في المحفوظ من فصيح نظم العرب ونثرهم نحو خنفقيق اي الداهية المهلكة فقد قال المُهَلْهِل

قل لبني حصن يَرُدُّونه او يصبروا للصَّيْلَم الخنفقيق

واما بوجود مرادف كثر استعماله ونسي الآخر نحو جيدر بمعنى قصير فانه ورد في كلامهم بقلة

(١) اذ يتوهم السامع انه يقول لا مثل له الَّا ملكا جده للام حي وابوه يقارب جده للام في المجد او في العمر وهذا معنى مضحك

واما مخالفة قياس النحو فهو عيب كبير لانه يصير الكلام مخالفا لاستعمالات العرب الفصحاء فهو يعرض للمولدين والمراد منه مخالفة ما اجمع النحاة على منعه او ما كان القول بجوازه ضعيفا وروده في كلام العرب شاذا نحو تعريف غير في كقول كثير من طلبة العلم الغير كذا ونحو تقديم التاكيد على المؤكد في قول المعري

تعب كلها الحياة فما اعـ ـجب الّا من طامع في ازدياد

وكذلك كل ما جوزوه في ضرورة الشعر اذا وقع شيء منه في النثر فضعف التاليف عيب لا يوجب انبهام المعنى بخلاف التعقيد

والبلاغة اشتمال الكلام على احوال خصوصية (١) تستفاد بها معان زائدة على اصل المعنى (٢) بشرط فصاحته كاشتمال قوله تعلى «فقالوا انا اليكم مرسلون» على حالة خصوصية وهي التاكيد بان لافادة معنى زائد وهو توكيد الخبر لاجل ابطال تردد المخاطبين فيه وذلك امر زائد على اصل المعنى وهو الاعلام بكونهم رسلا الذي يكفي لافادته ان يقال أرسلنا اليكم او نحن اليكم مرسلون وتسمى هذه الاحوال الخصوصية بالنكت وبالخصوصيات وهي تكثر وتقل في الكلام بحسب وجود الدواعي والمقتضيات من كثرة وقلة كالادوية فانها تشتمل على عقاقير كثيرة تارة وقليلة اخرى بحسب ما يحتاجه المزاج لاصلاحه . انظر مثلا قوله تعلى « هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور » فنجد في قوله

---

(١) نسبة للخصوص وهم خاصة الناس في هذا الباب اعني بلغاء الكلام لان هاته الاحوال لا توجد الّا في كلام البلغاء دون كلام السوقة ولئن وجدت في كلام السوقة فانها غير مقصود بها مرماها

(٢) اصل المعنى هو المقدار الذي يتعلق غرض المتكلم بافادته المخاطب سواء كان قليلا نحو نزل المطر او بزيادة معنى نحو نزل الجود ورسف فلان فانه يفيد ازيد من نزل المطر ومشى فلان لكنه افاده بمدلول الكلمات وقد تكون الزيادة في المعنى نحو جاء فلان الكاتب وكل هذا من قبيل اصل المعنى لان جمعيه تعبير لزمت افادته فالحاصل ان اصل المعنى يطول ويقصر بحسب الغرض وهو فوائد اصلية . ثم اذا كيف المتكلم المعنى بكيفيات فتلك الكيفيات زائدة على اصل المعنى

« ينزل » احداهما التعبير بصيغة « فعّل » الدالة على التكرير . والثانية التعبير بصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار لان المقام للتبشير بزيادة الاخراج من الظلمات الى النور يوما فيوما وفي كل حال . وانظر قوله في الآية الاخرى « نزل عليك الكتاب بالحق » فلا تجد في « نزل » الّا خصوصية واحدة وهي التعبير بصيغة « فعل » لان المقام للامتنان . والامتنان يكون بما وقع لا بما سيقع والبليغ في اتيانه بهذه الاحوال في كلامه يراعي احوال المخاطبين ومقامات الكلام (١) فلا يتاتي بنكتة وخصوصية الّا اذا رأى ان قد اقتضاها حال المخاطب واستدعاها مقام الكلام وبمقدار تفاوت المتكلمين في تنزيلها على مواقعها يتفاوت الكلام في مراتب البلاغة الى ان يصل الى حد الاعجاز الذي يعجز البشر عن الاتيان بمثله وهو الذي اختص به القرآن المنزل من حكيم حميد في جميع آياته والى حد قريب منه وهو الذي اختص به نوابغ بلغاء العرب مثل امرىء القيس والنابغة والاعشى وسحبان في اكثر كلامهم

وحيث كانت البلاغة يتصف بها الكلام باعتبار افادته عند التركيب والاسناد فلا جرم ان كان ملاك الامر فيها راجعا الى ما يتقوم به الاسناد وكذلك كيفيات الاسناد والمسند اليه والمسند ثم تتفرع البلاغة في متعلقاتها من المعمولات واحوال الجمل وسيجيء كل نوع من ذلك في بابه

باب الاسناد

الاسناد ضم كلمة الى اخرى ضما يفيد ثبوت مفهوم احداهما لمفهوم الاخرى نحو حاتم كريم واكرم حاتما . او انتفاءه عنه نحو ما خالد جبانا ولا تقاتل خالدا سواء كان بالتعيين ام بالتردد (٢)

---

(١) احوال المخاطبين مثل حال المنكر والمتردد والمعتقد العكس في القصر وحال الذكي والغبي في ايراد الكناية واما المقامات فهي اغراض الكلام والمواقع التي يتكلم فيها البليغ مثل مقام الحرب ومقام السلم ومقام الحب ومقام الموعظة ومقام الاستدلال العلمي ومقام الخطابة الاقناعي

(٢) قصدت بهذه الزيادة ادخال نحو قام زيد او عمرو وادخال الاستفهام

وحكم ما يجري مجرى الكلمة نحو الضمير المستتر والجملة الواقعة خبرا حكم الكلمة (١) فالكلمة الدالة على المحكوم عليه تسمى مسندا اليه والكلمة الدالة على المحكوم به تسمى مسندا والحكم الحاصل من ذلك يسمى الاسناد ولكل من المسند اليه والمسند والاسناد عوارض بلاغية تختص به

عوارض الاسناد واحواله

شاع ان الاسناد من خصائص الخبر فلذلك كثر ان يصفوه بالخبري بناء على ان الانشاء كالامر والنهي والاستفهام لا اسناد فيه والتحقيق ان الاسناد يثبت للخبر والانشاء فان في الجمل الانشائية مسندا ومسندا اليه فالفعل في قولك اكرم صديقك مسند والضمير المستتر فيه مسند اليه

واعلم ان القصد الاول للمخبر من خبره هو افادته المخاطب الحكم (٢) وقصد المتكلم بالجملة الانشائية ايجاد مدلول الإنشاء ففي الامر يقصد ايجاد المامور به ويسمى الامتثال وفي النهي يقصد عدم ايجاد الفعل ويسمى الانكفاف وفي الاستفهام يقصد الجواب بالافهام وهكذا

وقد يخاطب بالخبر من يعلم مدلوله ويخاطب بالانشاء من حصل منه الفعل المطلوب فيُعلم ان المتكلم قصد تنزيل الموجود منزلة المعدوم بنكتة قد تتعلق بالمخاطب اما لعدم جري العالم على موجب علمه كقول عبد بني الحسحاس

❀ كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ❀ فان المقصود منه تذكير من لم يزعه الشيب والاسلام اذ قد علم كل الناس انهما وازعان . واما لان حاله كحال ضده كقولك للتلميذ بين يديك اذا لم يتقن الفهم يا فتى فانك تطلب اقباله وهو حاضر لانه كالغائب

---

(١) اعلم انني نقحت تعريفهم للاسناد فاتيت بتعريف ينطبق على الخبر وعلى الانشاء ولذلك لم اذكر في التعريف لفظ الحكم بل قلت يفيد ثبوت مفهوم الخ لان في الانشاء ثبوتا وانتفاء لكن بلا حكم

(٢) اذا لا يقصد المتكلم من كلامه مجرد النطق به كالسعال والانين واما قول الحطيئة

ابت شفتاي اليوم الّا تكلما بسوء فما ادري لمن انا قائله

فذلك ضرب من التمليح اذ جعل نفسه لا يستطيع البقاء بلا هجاء

واما لقصد الزيادة من الفعل نحو « يا ايها الذين آمَنوا آمنوا بالله ورسوله » فطلب منهم الايمان بعد ان وصفهم به لقصد الزيادة والتملي منه واما لاختلال الفعل حتى كان غير مجد لفاعله مثل قوله صلى الله عليه وسلم للذي رآه يصلي ينقر نقر الديك « صل فانك لم تصل » وهذا كثير في كلامهم ، وقد تتعلق النكتة بالمتكلم ليريك انه عالم بالخبر كقولك لصاحبك سهرتَ البارحة بالنادي وقول عنترة

ان كنت ازمعت الفراق فانما ... زُمَّتْ ركابكم بليل مظلم

وعلامة هذا ان يكون الكلام دالا على ان المخاطب لا يجهل الخبر فانك اذا حدثته عن احواله لا تقصد ان تعلمه بما هو معلوم لديه .

وللكلام في قوة الاثبات والنفي مراتب وضروب بحسب قدر الحاجة في اقناع المخاطب . فان كان المخاطب خالي الذهن من الحكم ولا تردد له فيه فلا حاجة الى تقوية الكلام . وان كان المخاطب مترددا في الحكم فالاحسن ان يقوى له الكلام بمؤكد لئلا يصير تردده انكارا كما قال الله تعلى « فقالوا انا اليكم مرسلون » لانهم كذبوا الرسولين الاولين فلما عززا بثالث كان القوم بحيث يترددون في صدقه . وان كان المخاطب منكرا وجب توكيد الخبر على قدر الانكار نحو « اني لكم نذير مبين » ونحو « انا اليكم لمرسلون » ونحو « ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون »

ويسمى الضرب الاول ابتدائيا . والثاني طلبيا والثالث انكاريا .

وادوات التوكيد إنَّ وأنَّ ولام الابتداء . ولام القسم . والقسم . والحروف الزائدة . وحروف التنبيه . وضمير الفصل ولن النافية هذه في الاسماء وقد واما الشرطية ونون التوكيد في الافعال وقد ينزل المخاطب المستحق لاحد هذه الأضرب منزلة صاحب غيره منها لنكتة فيسمى ذلك اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر قال طرفة

لَعَمرُك إنَّ الموتَ ما اخطأ الفتى ... لَكالطِّوَل المُرْخَى وثنياه باليد

فاتى بثلاث مؤكدات القسم وان ولام الابتداء لقصد الرد على من كان حاله في لومه اياه على الكرم وتناول اللذات حال من ينكر ادراك الموت اياه مع ان مجيء الموت ولو بعد طول العمر امر معلوم لكل احد

وقد يجيء التوكيد بان لمجرد الاهتمام بالخبر دون انكار كقول النبيء صلى الله

عليه وسلم « ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا » ومن ذلك ان يكون في الخبر غرابة كالمثل « ان البغاث بارضنا يستنسر » او تهويل نحو « ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون » لان شان هذين النوعين ان ينكرهما السامع فيؤكد له من قبل حصول الانكار احتياطا تنزيلا له منزلة المنكر

والاسناد نوعان حقيقة عقلية ومجاز عقلي . فالحقيقة العقلية اسناد الشيء الى شيء هو من الامور الثابتة له في متعارف الناس اثباتا او نفيا فالاثبات كقول الصَّلَتَان العَبْدي

أشاب الصغير وافنى الكبير كر الغداة ومر العشي

لان الشاعر جاهلي وظاهر كلامه يشعر بانه يعتقد ان مرور الزمان هو سبب الشيب اذ لم ينصب قرينة على انه يعلم ان ذلك ليس سببا للشيب . والنفي كقوله تعلى « وما كانوا مهتدين » والمجاز العقلي اسناد الشيء الى غير ما هو له في متعارف الناس اثباتا او نفيا لملابسة بين المسند والمسند اليه . ومعنى الملابسة المناسبة والعلاقة بينهما . فاشهر ذلك ان يسند الفعل الى المتسبب فيه كقول ام زَرْع « أناسَ من حلي أذُنَيَّ وملا من شحم عَضُدَيّ » فان زوجها لما اشترى لها النَّواس لتلبسه في اذنيها فهو قد اناس اذنيها وهذا قريب من الحقيقة ولما افاض عليها الخير والراحة حتى سمنت فقد تسبب في ملاء عَضُدَيْها بالشحم . وهذا مجاز عقلي لملابسة السببية وهناك ملابسات كثيرة نحو « عيشة راضية » مع ان الراضي صاحب العيشة . ونحو نهر جار مع ان الجاري ماؤه وانبت الربيع العُشُب لان الربيع زمن الانبات . « يوما يجعل الولدان شيبا » لان اليوم ظرف للمشيبات . « يا هامان ابن لي صرحا » لانه الذي يامر بالبناء . « يوما عبوسا قمطريرا » والنفي كقوله تعلى « فما ربحت تجارتهم » فان نفي الربح لم يتعارف اسناده للتجارة بل انما يثبت الربح وينفى عن التاجر . وهو محتاج الى قرينة لفظية او معنوية ليفارق كلام البليغ كلام الغالط والهاذي والغبي

عوارض احوال المسند اليه

المسند اليه هو كاسمه ما ضم اليه غيره كما تقوم مثل المبتدأ . والفاعل . ونائب الفاعل . واسم كان . واسم ان . والاصل ان يكون المسند اليه مذكورا في الكلام وقد يحذف اذا دلت عليه قرينة نحو قوله تعلى « فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم »

اي انا عجوز . او لضيق المقام نحو قول رفيق الصياد (غـزال) او ليجري اللفظ مجري المثل فيكون موجزا نحو ــ رميةمن غير رام ــ اي رَمْيَتُكَ هذه .

والاصل في المسند اليه التعريف لان الحكم انما يكون على معروف فيكون المسند اليه معرفة من المعارف الستة المذكورة في النحو . فاذا تعين طريق من تلك الطرق الستة وجب الاقتصار عليه وان امكن الاتيان في تعريفه بطريقين فصاعدا كما اذا امكن التعبير عنه باسمه العلم او بالموصول وصلته او بالضمير تخير البليغ في ذلك وهو يراعي ما هو انسب فقد يختار تعريفه باسمه العلم لان في الاسم تعظيما مثل معز الدين والرضا او فيه اهانة نحو بَوْلان ويسير فيقصد المتكلم الاشارة الى ان المسمى له حظ من اسمه فلذلك قال الشاعر

* وفضل يسير في البلاد يسير *

وقـال النبيء صلى الله عليه وسلم « عُصَيَّةُ عصت الله ورسوله » (١) او لان في الاسم محبة وابتهاجا بذكره كما قال . . . .

بالله يا ظبـيات القـاع قلن لنا ليلاي منكن ام ليلى من البشر

فلم يقل ام هي من البشر ليعيد اسمها (٢)

وقد يختار الموصول لان الصلة تشعر بمعنى لا يمكن ان يؤدي بغير الجملة مثل معنى شعار الصلة بالتفخيم في قوله تعلى « فغشيهم من اليم ما غشيهم » . وكاختيار الموصول على المعرف بأل في قول زهير

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدَّم ومن لا يظلم النـاس يظلم

فانه لم يقل : المستسلم مهضوم مثـلا بل اتى بالموصول ليشير بالصلة الى علة الحكم وكاختيار المضاف على الاسم العلم في قوله تعلى « يآيها الناس اعبدوا ربكم »

---

(١) عصية بطن من بني سليم كانوا كفارا فغدروا ببعض المسلمين يقال لهم القراء في موضع يدعى ببئر مَعونة سنة ٤ من الهجرة

(٢) وقد سبق علماء البلاغة الى التنبيه على ايراد العلم لقصد التلذذ ابو الطيب المتنبي اذ قال في مدح ابي شجاع عضد الدولة

اساميـا لم تزده معرفـة وانما لـذةً ذكـرناها

وقد يؤتى بالمسند اليه نكرة لعدم الداعي للتعريف نحو « وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى » فيدل على ان المسند اليه فرد مبهم من جنس . ثم يتوصل المتكلم بذلك الى افادة التعظيم تارة والتحقير اخرى وقد جمعهما قول مروان بن ابي حفصة (١)

له حاجب عن كل امر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب

ويعرف ذلك بالقرينة وسياق الكلام كقول عباس بن مرداس

وقد كنت في الحرب ذا تُدْرَإٍ فلم أُعط شيئا ولم أمنع

اي لم اعط شيئا عظيما بقرينه قوله ولم امنع

ومن اهم احوال المسند اليه حالة تقديمه فان تقديمه وان كان هو الاصل إلَّا ان المتكلم قد يشير باختيار تقديمه مع تأتي تاخيره كأن ياتي به مبتدأ مع امكان الاتيان به فاعلا اذا كان الخبر فعلا وكالاتيان به مبتدأ وهو نكرة والخبر ظرف مع ان الاصل حينئذ تقديم الظرف كما في قولهم بقرة تكلمت للاشارة الى ان ذلك للاهتمام بشانه . اما لان فيه فالا نحو سعد اتاك واما للتشويق نحو قول المعري :

والذي حارث البريَّة فيه حيوان مُستَحدَث من جَماد

يريد حشر الاجساد . ومما التزمت العرب فيه التقديم لفظ مثل وغير في قولهم « مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود » اذا اريد انت لا تبخل وانت تجود فجعل مثل وغير كناية عن المخاطب ويشيرون الى هذا الجعل بالتقديم المفيد للاهتمام اذ لا وجه لهذا الاهتمام الا تنبيه الى ان المراد بمثل وغير معناهما الكنائي

عوارض احوال المسند

قد عرفت ان المسند هو الكلمة المضمومة الى غيرها لافادة ان مدلولها محكوم به لذلك الغير . فالمسند هو : خبر المبتدا . وفعل الفاعل او نائبه اذا كان الفعل تاما . واسم الفعل . والمبتدأ الوصف المستغني بمرفوعه عن الخبر لان ذلك المبتدا في قوة الفعل فلذلك عمل في الفاعل . وخبر كان واخواتها . وخبر ان واخواتها

---

(١) هو المكنى بابن ابي السَّمط وهي كنية ابى حفصة لم تشتهر عند الادباء وقد نسب هذا البيت اليه بعنوان هذه الكنية فتوقف في معرفته الكاتبون حتى ان صاحب معاهد التنصيص ترك موضع ترجمته هنا بياضا

وقد نبهك هذا الى المسند قد يكون اسما وقد يكون فعلا فلا جرم انك تتطلب الفرق بين الداعي للبليغ ان ياتي بالمسند مرة اسما ومرة فعلا : فاعلم انه ياتي به فعلا اذا اراد التقييد باحد الازمنة الماضي والحال والمستقبل على اخصر وجه فيغنيه ان يقول قدم صديقك عن ان يقول قدوم صديقك امس فيكون الاتيان بالفعل طريقا من طرق الايجاز عند ارادة افادة الزمان مع ما في الفعل من افادة كون الوصف غير ذاتي للمسند اليه ويزيد المضارعُ فيدل على تجدد الحصول (١) آنا بعد آن نحو « الله يستهزىء بهم » . وياتي البليغ بالمسند اسما عند ارادة عدم التقييد باحد الازمنة وارادة عدم التجدد فقولك زيد منطلق لا تعرض فيه لاكثر من اثبات وصف الانطلاق له فهو شبيه حينئذ بالصفات التي لا دلالة لها على شيء من الحدوث نحو زيد طويل مثال ذلك قوله تعلى حكاية عن المنافقين « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون » اشاروا الى ان الاستهزاء بالمؤمنين صفة ملازمة لهم ليست بامر حادث فيهم

ثم من احوال المسند الفعلي ان يقيد بالشرط على معنى اداة من ادواته المذكورة مع معانيها في كتب النحو فلا فائدة في ذكر تفاصيلها في هذا العلم وانما يتعلق الغرض ببيان الفرق بين الشرط بإن والشرط باذا كان النحاة اهملوه فانهما مشتركتان في الدلالة على اصل التعليق والاستقبال دون زيادة لكن الغالب في الشرط بإن ان يدل على عدم اليقين بوقوع الشرط سواء كان مستقرب الوقوع لكن بلا جزم كقوله تعلى « وان تؤمنوا وتتقوا يوتكم اجوركم » فان ايمانهم وتقواهم واقعان (٢) او كان مشكوكا في وقوعه ضعيف الاحتمال كقول المعري

فان استطع في الحشر آتك زائرا وهيهات لي يوم القيامة اشغال

واما اذا فاصلها الدلالة على اليقين بوقوع شرطها نحو « اذا جاء نصر الله والفتح »

---

(١) اشرت الى ان التجدد ينبغي ان يخص بالمضارع . واما الماضي والحال فلا يدلان إلَّا على كون الوصف غير ذاتي وقد عبروا عن الامرين بالتجدد

(٢) والله يعلم من يؤمن ومن لا يؤمن وانما ابرز الكلام في صورة ما لا جزم فيه على طريقة العرب لو تكلموا في مثل هذا المقام لقصد حث المسلمين على الثبات في الايمان والتقوى كي يجزم المتكلم بحصولهما منهم

الآية هذا هو الاصل وقد جاء على ذلك قوله تعلى « فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطّيّروا بموسى ومن معه » لان نعم الله على العباد كثيرة والمصائب نادرة (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) وقد تستعمل ان في مقام اليقين لتنزيل اليقين منزلة الشك كما اذا كان حال المخاطب حال من يشك في الامر اليقين كقول طرفة

الا ايها ذا الزاجري احضرُ الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

فان كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني ابادرها بما ملكت يدي

وتستعمل اذا مقام عدم اليقين كتصور الامر المحبوب عزيزا وقوعه لشدة تعلق القلب بكثرته كقول النابغة

اذا تغنى الحمام الوُرْق ذكرني ولو ترحّلت عنها امّ عمار

واصل المسند التأخير عن المسند اليه . وقد يقدم ليفيد تقديمه قصر المسند اليه على المسند نحو « لا فيها غَول » اي ان عدم الغول مقصور على الكون في خمر الجنة وسيأتي في القصر . وقد شاع عند العرب تقديم اسماء الاعداد عند قصد جمع اشياء ليفيد التقديم تشويقا للمعدود نحو قوله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الّا ظله امام عادل الخ » ونحو « كلمتان حبيبتان الى الرحمن الحديث » ونحو قول محمد بن وُهيب في مدح المعتصم العباسي

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وابو اسحاق والقمر

وهذا كله ما لم يكن التقديم لسبب يحتم التقديم في النحو مثل تقديم ادوات الصدر في نحو كيف انت واين اللقاء ومتى الظعن . او لسبب يُعرف انه لفظي لا غرض فيه لغير اللفظ مثل التقديم لاجل السجع كقول الحريري في المقامة الثانية « فاذا هو مثافن لتلميذ . على خبز سميذ . وعجل حَنيذ وقبالتهما خابية نبيذ » فتقديم قوله قبالتهما على المسند اليه لقصد السجع اذ لا يحتمل معنى القصر .

واصل المسند التنكير وقد يعرّف لاغراض اهمها افادة القصر كما سياتي في بابه

عوارض احوال متعلّقات الفعل

وهي المفاعيل ؛ والظروف ؛ والمجرورات ، والحال ، والتمييز ، واهم ما يتعلق به غرض البليغ هو احوال المفاعيل وخاصةً المفعول به فانه الذي تعرض له احكام الحذف دون غيره من المفاعيل لانه اذا لم يذكر علمنا انه محذوف اذ الفعل المتعدي يطلب مفعوله طلبا ذاتيا ناشئا عن وضع معنى الفعل المتعدي فان الفعل اللازم وضع ليدل على حدث صادر من ذات واحدة والفعل المتعدي وضع ليدل على حدث صادر من ذات ومتعلق باخرى . اما بقية المفاعيل فانها اذا لم تذكر لا يوجد دليل يدل على ان المتكلم قصد ذكرها (١) ثم حَذَفها وكذلك احكام التقديم انما تغلب مراعاتها في المفعول به

فاذا لم يذكر المفعول به مع فعله المتعدي اليه ولم تكن قرينة على تقديره فحذفه حينئذ قد يكون لاظهار ان لا غرض بتعليق ذلك الفعل بمفعوله فينزل الفعل حينئذ منزلة اللازم بحيث يكون النطق به ليس الَّا لقصد الدلالة على اصل معناه الحدثي اذا لم يجد المتكلم فعلا أخر يدل على ذلك المعنى او لم يستحضره فحينئذ لا يقدر لذلك الفعل مفعول نحو « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقول البحتري يمدح المعتز بالله العباسي

شجو حساده وغيظ عداه ان يرى مبصر ويسمع واعي

فلم يذكر مفعول يرى ويسمع لانه أراد أن يوجد راء وسامع فلا غرض لمعرفة مفعول . والمعنى ان الرائي لا يرى إلَّا آثار الخليفة الحسنى والسامع لا يسمع الَّا ثناءه . وقرينة ذلك قوله شجو حساده . لان ذلك هو الذي يشجو حساده ويغيض عداه

---

(١) اي لا يوجد دليل من جهة نفس اقتضاء الفعل لواحد منها وان كان قد يوجد دليل لفظي مثل وقوع الفعل في جواب سؤال مقيد ببعض تلك المفاعيل الا ان المقدر كالمذكور كقول الشاعر

اتصحو ام فؤادك غير صاح عشية هم قومك بالرواح

فانك لو قدرت له جوابا فقلت نعم اصحو لكان التقدير اصحو عشية هم قومي

وقد يكون الحذف لقصد التعميم مثل « والله يدعو الى دار السلام » اي يدعو كل احد وانما قلنا آنفا « ولم تقم قرينة على تقديره » لانه ان كان المفعول مقدرا منوي اللفظ فهو كالمذكور والقرينة اما من نفس الفعل بان يكون مفعوله معينا لانه لا يتعدى الّا اليه كقول عمرو بن معديكرب

فلو ان قَوْمي انطقتْني رِماحُهم نَطَقْتُ ولكنَّ الرماحَ أجَرَّتِ

فان فعل اجر معناه شق اللسان فمفعوله متعين . واما بان يكون عليه قرينة لفظية وهو كثير .

واما تقديم المفعول وما بمعناه كالجار والمجرور والظرف فقد يكون للحصر نحو « اياك نعبد » وفي الحديث الصحيح « ففيهما فجاهد » يعني الابوين (١) وهو كثير في كلامهم . وقد يكون لمجرد الاهتمام نحو « واما ثمود فهديناهم » في قراءة النصب وقد يكون لغرض لفظي كالسجع والفاصلة في نحو « ثم الجحيم صلّوه . ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه » .

القصر (٢)

القصر تخصيص حكم بمحكوم عليه بحيث لا يثبت ذلك الحكم لغير ذلك المحكوم عليه . او تخصيص محكوم عليه بحكم بحيث لا يتصف ذلك المحكوم

---

(١) لان السائل طلب منه ان يوجهه للجهاد فقال له الك ابوان قال نعم قال ففيهما فجاهد . وكانا كبيرين

(٢) القصر مع كونه بابا له مباحث مهمة في علم البلاغة هو ايضا له تعلق كبير بالابواب الثلاثة التي مضت فان الاسناد والتعلق يتكيفان بالقصر في بعض الاحوال فكانت مسائل القصر تجري في المسند اليه وفي المسند وفي متعلقات الفعل وشبهه اعني المفاعيل والحال والظرف والتمييز والموصوف والصفة ولذلك اخر بابه عن الابواب الماضية لكونه ليس اشد تعلقا بواحد منها منه بالاخر . مثال قصر الحال على صاحبها والعكس ما جاءني راكبا الّا زيد وما جاءني زيد الّا راكبا . ومثال قصر التمييز ما طاب زيد الّا نفسا وما طاب نفسا الّا زيد

عليه بغير ذلك الحكم بواسطة طريقة مختصرة تفيد ذلك التخصيص قصدا للايجاز فخرج من بقولنا بواسطة طريقة مختصرة الخ نحو قول السموأل

تسيل على حد الظُبات نُفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

فان هذا المثال اقتضى تخصيص سيلان النفوس اي الدماء بالكون على حد الظبات لكن ذلك ليس مدلولا بطريقة مختصرة بل بجملتي اثبات ونفي

والمراد بالحكم والمحكوم عليه الامر المقصود قصره او القصر عليه سواء كان احد ركني الاسناد نحو « ما محمد الَّا رسول » ام كان متعلَّق احدهما كالمجرور المتعلق بالمسند في قول كعب بن زهير

لا يقـع الطعن الَّا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

فقصر وقوع الطعن على الكون في نحورهم وكالحال المخصصة للمسند اليه نحو : انما الشاعر زهير راغبا . اذا اردت قصرا ادعائيا في حالته هذه (لقولهم : زهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وعنترة اذا ركب) .

وكالظرف في قول عمر بن ابي ربيعة

فقالت والقَتْ جانب السِّتر انمـا معي فتحدَّثْ غيرَ ذي رِقْبَةٍ اهلي

اي انك لا تتحدث الآن الَّا معي فقل ما شئت . فالمخصوص بشيء يسمى مقصورا والمخصوص به شيء يسمى مقصورا عليه والمقصور هو الذي لا يتجاوز المقصور عليه لغيره والمقصور عليه هو الذي لا يشاركه غيره في الشيء المقصـور . فالاختصاص والحصر مترادفان .

والقصر اما قصر موصوف على صفة بمعنى ان لا يتجاوز الموصوف تلك الصفة الى صفة اخرى . واما قصر صفة على موصوف والمراد بالصفة والموصوف هنا الحكم والمحكوم عليه لا الصفة المعروفة في النحو .

وطرق القصر ستة وهي : النفي مع الاستثناء . وانما . والتقديم لما حقه التاخير من مسند ومفعول ومعمول فعل . والعطف بلا وبل ولكن . او ما يقوم مقام العطف من الدلالة على الاستدراك باثبات بعد نفي او عكسه . وتعريف المسند . وتوسيط ضمير الفصل . وهذه امثلتها على الترتيب : قول لبيد